صيد السمك

و

صيد الناس

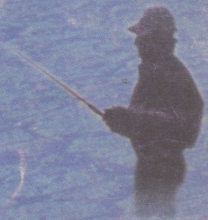

القمص يوسف أسعد

صيد السمك وصيد الناس

القمص يوسف أسعد

الكتـــــاب: صيد السمك وصيد الناس
المـــؤلـــف: القمص يوسف أسعد
الطبـــعـــة: الأولى: يوليـــو ١٩٧٣
الثانية: ديسمبر ١٩٧٤
الثالثة: يوليـــو ١٩٨٣
الرابعة: سبتمبر ٢٠٠٠
المطبـــعـــة: دار العالم العربى ـ الظاهر ـ القاهرة
إصـــــدار: أبناء القمص يوسف أسعد
ص. ب. ٢١٢ الجيزة
رقـم الإيـداع: ٤٣٣٠/ ١٩٧٣

أوجه الشبه بين
صيد السمك وصيد الناس

أولاً: أدوات مادة الصيد:

وهى تشمل السنارة + طعم، أو شباك:

١ـ (أ) السـنارة:

وهى عود خشبى له صلابة كبيرة، به رباط لين ينتهى طرفه الحر بالسنارة نفسها.

وهذا العود غالباً يؤخذ من «البوص» الأخضر، ثم يترك للشمس حتى يجف ويصير صلباً.

* هذا العود الغض هو خادم الله وصياد الناس، والذى يؤخذ من بين إخوته المتنعمين ليقوده الرب فى سلسلة من التجارب والتداريب العنيفة حتى يصير شديداً أمام الصعوبات ليقول: «شمس التجارب قد لوحتنى» (نش ١ : ٦) «لكن يسوع أبداً ما تركنى».

* أما الرباط اللين الذى يربط فى رأس العود فهو نعمة الروح

القدس التى يلزم أن تملأ الخادم ملئاً تاماً حتى يكون آلة نافعة فى يد الروح القدس.

ومهما كانت صلابة الخادم دون أن يكون مملوءاً من الروح القدس اللطيف الهادىء فلن يستطيع اصطياد ولو نفساً واحدة لله.

(ب) ويلزم السنارة إعداد الطعم:

وهو من طعام شهى لدى السمك (دقيق قمح بمش أو دود أرضى) ومهما كان ثمن الطعام دون أن يكون مقبولاً لدى السمك فلن يفيد شيئاً.

* صياد الناس يحتاج أن يُجهِد نفسه فى تقديم طعام شهى روحانى للمخدومين.

والخادم الذى يبذل جهداً فى التحضير تكون فرص الصيد أمامه كثيرة.

≺ ولكل نوع من السمك طعامه المفضل، يعرفه متقنوا الصيد معرفة تامة، فليس ما يناسب «البساريا» يناسب «القراميط»، ولا ما يناسب «القراميط» يناسب «البلطى». وليس ما يناسب صغار هذه

الأسماك من طعام يناسب كبارها أيضاً.

* لكل صنف من الناس طعامهم الشهى المفضل. وليس ما يفيد الأطفال مناسباً أن يقدم للكبار..

فالأطفال يناسبهم ما يؤكد حب الله ورعايته وعنايته بهم.

والفتيان يناسبهم نواحى البطولة فى قديسى الله.

والشبان يناسبهم الممارسات الروحية العملية للفضائل المقدسة.

واجتماعات الشابات يناسبها إبراز نواحى القداسة والعفة والحشمة فى شابات قديسات.

ولكل منطقة سكانية ظروفها الخاصة التى تقتضى أن تراعى أثناء التحضير.

* كما يُلاحظ إنه ليس بكبر حجم طُعم السنارة يكون الصيد.. بل ربما طُعم صغير يصيد سكمة كبيرة. ومن المؤكد أنه كلما كبر حجم الطُعم كلما قلّت فرص الصيد.

* من غير المناسب تقديم وجبات روحية دسمة لمن لا يحتمل الدسم لئلا تقود إلى المعرفة العقلية فقط دون اختبار الإيمان الحى فى الإنسان.

هكذا تصرف القديس بولس الرسول مع أهل كورنثوس عندما قال لهم: «سَقَيْتُكُمْ لَبَنًا لاَ طَعَامًا لأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ» (١كو ٣: ٢).

كذلك عبّر ماربولس عن هذه الحقيقة للعبرانيين بقوله: «..وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ لاَ إِلَى طَعَامٍ قَوِيٍّ..» (عب ٥: ١٢، ١٣).

قدم يا أخى الطُعم قليلاً قليلاً، وعلى فترات كثيرة فتزداد بذلك فرص صيدك للنفوس.

٢ ـ الشـــباك:

وهى مجموعة من الأربطة اللينة متجمعة بإحكام تام، حتى تُضيّع على السمك الذى يدخلها فرصة للهروب منها.

هذه هى مجموعة وسائط النعمة التى يعطيها الروح القدس الهادئ اللطيف فرصة جذب الأنفس للمسيح جذباً كاملاً وشاملاً.

* وهى فى مظهرها «فتل» ضعيفة، لكنها تُخبئ فى طياتها أفضل الأسماك وأكبرها.

وممارسات وسائط النعمة فى مظهرها بسيطة لكنها تنطوى على

فيض الروح القدس المنسكب بغزارة فى الأسرار المقدسة.

وهى تجمع كل أصناف السمك، الجيد والردئ.

وفى ذلك تشبه الكنيسة المسيحية المقدسة التى ينطوى تحت لوائها المؤمنون الحقيقيون والمؤمنون المراؤون.. ليست هى جماعة قديسين ولكنها حقل تنمو فيه الحنطة وينمو فيه الزوان أيضا.

وعندما تجمع الشباك فى اليوم الأخير، سيفصل بين الجياد والأرديا. وسيضع كل فى مكانه.

* والذى يقوم بجمع الشباك هو الصياد..

وصياد النفوس الوحيد هو الرب يسوع المحبوب، الذى سيجمع الشباك فى اليوم الأخير. فى الحين الحسن، عندما يأتى ليدين المسكونة بالعدل.

السنارة للشاطئ، والشباك للعمق:

فالسنارة هى عمل فرد يقف على الشاطئ، وصيده يكون من الشاطئ بأحجام صغيرة تناسب الشاطئ.

أما الشباك فهى عمل جماعة فى أعماق البحار والأنهار صيدها لا مثيل له فى النوع والحجم.

ومع ذلك فإن الشباك لا تحتقر السنانير، فلكلٍ عمل مفيد.

كذلك فهناك من الخدام لا تسمح قاماتهم الروحية أن يتركوا الشاطئ هؤلاء لهم خدم ولهم هبات ينبغى ألا يحتقرها أولئك الذين تمرسوا على الدخول فى الأعماق.. لأننا كلنا أعضاء جسد واحد لكل منا مواهبه «وَلكنَّ هذه كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ قَاسِماً لِكُلٍّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ» (١كو ١٢ : ١١).

ثانيـاً : جهـاد الصـيد:

«الرَّخَاوَةُ لاَ تَمْسِكُ صَيْداً» (أم ١٢ : ٢٧) هكذا عبر الحكيم عن الجهاد للصيد. فصيد السمك له جهاد، وصيد الناس له جهاد أيضاً. يتشابه الجهادان كثيراً.

(١) يحتاج صيد السمك إلى صبر كثير:

لأنه ربما يقضى الإنسان وقتاً طويلاً بلا صيد، وربما يقضى أمسيات كاملة بدون صيد على الإطلاق. ألم يقل ماربطرس «قَدْ تَعِبْنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئًا» (لو ٥ : ٥). وما لم يكن له رصيد كبير من الصبر فإنه لن يقوى على مواصله الصيد.

وهكذا قيل عن صيادى الناس أنهم «يثمرون بالصبر».. الصبر الذى يعطى للخادم كل يوم رصيد من الرجاء لاصطياد أنفس للمسيح.

اصبر يا أخى فى الخدمة وجاهد بالصبر، لأنك لن تتعزى بالصيد مادمت متسرعاً وغير صابر.

وفى ماذا ينفق الصبر؟

≺ **فى الوقت**: الذى قد ينقضى دون ظهور أى بادرة على خلاص المخدومين.. والذى ينقضى فى الافتقاد دون أن يستجيب الناس.. والذى ينقضى فى إعداد الدرس دون ظهور استيعاب الناس له.

لا تيأس، عندما يمر الوقت وأنت لا ترى ثمر.. انتظر الرب واصبر له (مز ٧ : ٧)، وليتشدد وليتشجع قلبك..

≺ **فى متابعة المخدومين**: فالصبر الذى يقتضى متابعة «غماز» السنارة أو ملئ الشباك.. هو ذاته وبصورة أقوى وأكبر ـ يقتضيه متابعة نمو المخدومين.

ألم يعبر ماربولس الرسول عن الجهاد الذى عناه مع أهل

كورنثوس فى متابعتهم إذ قال: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ» (غل٤: ١٩).

≺ فى حل ما قد يعترض الخدمة من مشاكل وأتعاب: فهذا الأمر يحتاج إلى رصيد وافر من الصبر، لئلا تتحول الخدمة إلى لعنة لا بركة..

مثال لذلك الصبر الذى يحتاجه الإنسان وهو يلاقى قطع الشباك واشتباك السنارة فى الأعشاب والأغصان.

≺ فى انتظار استجابة الله لصلوات الخادم من أجل مخدوميه:

هذه الصلوات التى يجاهد فيها لكى يتوب مخدوميه ويعزيهم بتعزيات الروح القدس.

وقد تتأخر استجابتها لحين حسن يراه الرب.. فى انتظار الاستجابة يستلزم الصبر..

(٢) يحتاج صيد السمك إلى هدوء الصياد، وهدوء الجو المحيط به:

هذا الهدوء هو الذى يوفر للصياد فرصاً كبيرة لصيد وفير.

* الخادم الهادئ هو الذى يستطيع أن يكون آنية مختارة للروح القدس يستخدمه لخلاص كثيرين..

والخادم المضطرب بأى اضطراب داخلى عليه أن يتنحى مؤقتاً عن خدمته، لئلا ينقل اضطرابه بكل أدناسه إلى مخدوميه دون أن يدرى.. أمانة على الخادم أن يكون هادئاً وهو فى ميدان الخدمة، لئلا يخسر نفسه والناس أيضاً.. وستطلب من يديه هذه الدماء البريئة..

* والجو الهادئ الذى يعطى الخادم الهادئ إمكانيات ربح النفوس وهو الأسلوب البعيد عن وسائل الدعاية والإعلان بكل صورها فى الخدمة.

الخدمات الصامتة الهادفة إلى خلاص أنفس الناس هى التى يستخدمها الروح القدس لجذب كثيرين..

السيد المسيح كان هادئاً، وعندما كان يدخل بيت كان يدخله بالهدوء.. والناس عندما كان يعرفون مجيئه كانوا يتواردون عليه تباعاً وبأعداد كبيرة هائلة دون أى إعلان من جانب الرب أو تلاميذه.

(٣) ويحتاج صيد السمك إلى عدم الندم الردئ على ما

يفقد من صيد أثناء العمل.. على أن يكون ذلك قوة دافعة للمثابرة من أجل صيد وفير..

وقد يكون الصيد قد ظهر فعلاً خارج المياه، لكنه لسبب ما (إما عدم حكمة الصياد ـ أو معاندة الصيد نفسه) يعود فيسقط مرة ثانية.

وصيادى الناس قد يصيبهم اليأس للفقد الذى يتعرضون له أثناء الخدمة، ولكن الصياد الحكيم الماهر هو الذى يقوده هذا الفقد إلى جهد أكبر يبذله من أجل خلاص الأنفس، ومثابرة أقوى من أجل خلاص الأنفس، ومثابرة أقوى من أجل جذب آخرين للرب.

(٤) وليست العبرة ببداية «الغمز» أو بالصيد السريع لكن العبرة بالنهاية التى ينتهى إليها الصياد من صيد.

الأمر يحتاج إلى عدم انسياق وراء عاطفة الفرح بقدر ما نحتاج إلى حزم الأنفس.

ولأجل هذا قال ربنا يسوع لتلاميذه بعد أن خضعت لهم الشياطين عقب إرساليتهم «لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا.. بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَوَاتِ» (لو ١٠ : ٢٠).

لا تفرح يا عزيزى بالإنصات والتجاوب السريع الذى يظهره المخدومين معك. العبرة بنهاية هؤلاء، العبرة والفرح الحقيقى الذى من الروح القدس هو الذى ينشأ عن توبة المخدومين وثباتهم فى الرب.

(٥) وصيادى السمك يعرفون جيداً أن الأمر لا يعتمد كلية على ذواتهم واستعدادهم، بل يقدمون الله قبل بداية عملهم وهم يقولون «عليك يارب توكلنا».. متيقنين أن كل ما يقع تحت أيديهم من صيد إنما هو عطية «رزق» من الله.

الصيادون الذين يتكلون على معرفتهم **وفهمهم** سيخزون فى النهاية، أما الذين يقولون «على كلمتك ـ يارب ـ ألقى الشبكة» سوف يعاينون البشائر السارة من صيد وفير مبارك. قدم الله فى كل صغيرة وكبيرة فى الخدمة، صل باستمرار قبل بداية أى عمل من أجل خلاص الأنفس طالباً يد الله ليشترك فى العمل.. هكذا تعلمنا الكنيسة وهى تصلى: «اشترك فى العمل مع عبيدك فى كل شئ صالح».

(٦) يحتاج صيد السمك أيضاً إلى رقابة مستمرة وعناية

دائمة بالصيد حتى بعد اصطياده.. لئلا يضيع أو تأكله الحيوانات المفترسة أو يفسد من الجو.

هكذا أيضاً صيادى الناس، وإن كان الصيد المضمون لديهم، فإنهم يحتاجون أن يعتنوا بتوفير إمكانيات نمو المخدومين وتعمقهم فى معرفة ربنا المبارك بالافتقاد المستمر والجهاد المتواصل الذى يستمر طيلة حياة الخادم من أجل مخدوميه.

إن ماربولس الرسول يعطينا مثلاً رائعاً فى عنايته بالصيد الروحى فى الأمم. هذه العناية التى تظهرها رحلاته الشاقة القاسية من أجل افتقاد كنائس الله وتثبيتهم بالوعظ وكلمة الله.

ثالثاً : وقت الصيد:

يتم الصيد فى الليل (راجع لو ٥ : ٥)، بينما يقوم نفر من الهواة بالصيد فى النهار..

ويعتبر الوقت الطبيعى للصيد هو الليل، حيث يتوفر السكون والهدوء كما يتوفر الظلام الذى فيه لا ترى الأسماك ظلال الصيادين.

كذلك يقضى صيادى الناس ليل حياتهم كله، وهم يمضون زمان غربتهم عن الله، فى جهاد متواصل للصيد. لا يستريحون فيه إلا عندما يبزغ فجر المجئ الثانى الذى يضيئه ربنا المبارك يسوع «كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ» (رؤ ٢٢ : ١٦).

إن المسيحى هو الخادم الذى يعيش حياته بذلاً وتضحية من أجل خلاص الأنفس.. والذى يعينهم وينير أعينهم هو الذى قال عن نفسه «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ» (يو ٨ : ١٢، ٩ : ٥) وهو ذاته النور الذى يضئ للشعب الجالس فى الظلمة وظلال الموت (مت ٤ : ١٦).

رابعاً: مكان الصيد:

المكان الطبيعى للصيد هو البحار والأنهار والبحيرات والينابيع المختلفة.

والمكان الطبيعى لاصطياد الناس هو العالم الذى تقول عنه الكنيسة «نجنا يارب من طوفان بحر العالم الزائل».

وبكل ما فى هذا العالم من خداع وحيل شريرة وأتعاب مرة، دعا الرب خدامه ليصطادوا محبيه الذين يستجيبون لنداء الصيادين.

لذلك حذَّر الرب الصيادين من خداع البحر قائلاً: «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ. فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ» ومرة ثانية قال لهم «احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ».. (راجع مت ١٠: ١٦، ١٧).

«ليس للبحر كبير» هكذا يقول المثل الشعبى، وليس للعالم من يقول أنه قد غلبه إلا يسوع الذى قال: «ثِقُوا. أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ١٦: ٣٣).

والخادم مهما كانت قامته معرضاً لأن يجرفه طوفان هذا العالم الشرير، فتصير أواخره أشر من أوائله.

لهذا عندما كان يحتضر مكاريوس الكبير ـ المثل فى فضيلة التواضع ـ وقال له الشيطان «خلصت يا مقارة».. أجابه القديس قائلاً: «لا.. لم أخلص بعد»..

احذر يا أخى خداع البحر وكن حكيماً بسيطاً.. «وَرَابِحُ النُّفُوسِ حَكِيمٌ» (أم ١١: ٣٠).

خامساً: كميـة الصـيد:

إن أى صيد يفرح قلب الصياد، حتى أن ظهور «بساريا» صغيرة

ترسم على شفتيه إبتسامة رضى كتعبير خارجى عن الفرح.

على أنه ـ بلا شك ـ كلما إزداد حجم الصيد كلما إزداد فرحه على وسع رزقه. وفى صيد الناس أيضاً إن أى نفس تخلص وترجع للمسيح تعطى للخادم تعزية ليست بقليلة تزيد رصيد جهاده فى الخدمة.

ولاشك أن النفس التى تظهر محبة أكبر وأقوى للرب تزيد التعزية زيادة أكبر وأعمق فى قلب الخادم والكنيسة. ولعل لذلك قيل: «نَجْماً يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ» (١كو ١٥: ٤١).

إن ذلك يدعوك يا أخى ألا تحتقر أحداً، مهما كانت قامته وإمكانياته الروحية.. إن النفس الواحدة كلفت الرب يسوع الدم الذكى الثمين.. فهل تجرؤ أنت على احتقار ما إشترِىَ بدم ابن الله ؟!

ما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىَّ فهذا إفعلوا

(فى ٤: ٩)

صيد الناس يسمو عن صيد السمك

مهما تشابهت عملية صيد السمك مع صيد الناس، لكن يبقى صيد الناس دائماً أسمى من صيد السمك بقدر سمو الإلهيات على الأرض.

(١) **فالسمك عندما يصطاد يخرج من الحياة ليموت،** وينتهى الأمر عند هذا الحد.

لكن النفوس الحية عندما تخرج عن العالم، إذ تموت موتاً صادقاً عن كل مشتهياته ورغباته لكنها لا تنتهى إلى الموت بل تجتازه إلى حياة أبدية ونعيم سماوى وعد به الرب الذى يحبونه.

(٢) **والسمك بعد اصطياده يصير بلا حياة** تبرزها المشاعر وتؤكدها العواطف العاقلة.

أما النفوس الحية فهى مشاعر وعواطف تقتضى الفطنة والحكمة والمشاركة الوجدانية الحقيقية.. كى تتأكد هذه المشاعر

والعواطف بوثق الحب الروحى ذات القوة الجبارة فى توبة وتجديد آخرين أيضاً.

إن نفساً واحدة تُصطَاد للمسيح، تصيد هى أيضاً عدداً هائلاً من الأنفس الحية. وهكذا يمتد ملكوت الله وينتشر على الأرض.

(٣) وعملية صيد السمك عملية بشرية بحتة فى معظم خطواتها.. **أما كل مراحل صيد الناس فهى روحية بحتة يقوم بها الروح القدس** الأقنوم الثالث من اللاهوت المقدس.

لا تستطيع كل الفطنة البشرية بكل ما تصل إليه من قوة وفهم أرضى لا تستطيع أن تغير حياة إنسان لتمجد الله. والذى يعتمد فى خدمته على أفكاره ومواهبه البشرية فلن يزيد عمله عن كونه نشاط اجتماعى بحت يستطيع أن يقوم به كل إنسان تكيف تكيفاً صحيحاً مع الناس.

إن تجديد الناس وتغيير أفكارهم وعواطفهم هو عمل الله وحده معهم.

(٤) واصطياد السمك ينتهى بعرضه أمام الناس كى يُشترى بالفضة والمال..

أما النفوس الحية فقد سبق رب المجد ودفع ثمناً غالياً لشرائها جميعاً، هو دم ابن الله الحى.

إن النفس معروضة لكى يشتريها الخادم لنفسه أو لغيره وكل ما يفعله الصياد أن يعيدها إلى الله ثانية، مستخدماً فى ذلك الله تعالى شأنه..

هكذا تسمو خدمة صيد الناس عن صيد السمك!!

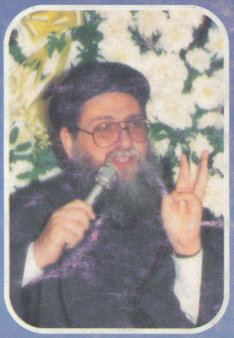

الصيادون الذين يتكلون على معرفتهم وفهمهم سيخزون فى النهاية، أما الذين يقولون «على كلمتك - يارب - ألقى - الشبكة» سوف يعاينون البشائر السارة من صيد وفير مبارك، قدِّم الله فى كل صغيرة وكبيرة فى الخدمة، صلِ باستمرار قبل بداية أى عمل من أجل خلاص الأنفس طالباً يد الله ليشترك فى العمل.